

◀ أميركا لا تخاف إلا نفسها؟

- تمة المنشور في الصفحة ١ -

اجتاز بريجنسكي عتبة السبعين منذ سنوات ولكنه بدأ لنا، حين التقيناه أخيرا في إحدى العواصم الأوروبية، متوقد الذهن، ثابت الرأي، واثق القرار، على بعض عجرفة متأتية من تماهيه المطلق مع القوة الاميركية في العالم. وقد كرمه بلد هجرته بمنحه "وسام الحرية" العالي لدوره في تطبيع العلاقات الاميركية - الصينية، كما قدره بلد منشأه (بولونيا) بمنحه "وسام النسر الابيض"، لدوره في تحرير فرصيا من ربكة الشيوعية والمهيمنة السوفياتية. ويحار المرء فعلا في تفسير مواقفه. هل ان هذا الشعور المفرط بالقدر الاميركية وليد اقتناع عميق ام ان بريجنسكي ما زال متأثرا بأصوله البولونية؟ ومرد تلك الحيرة اساسا قراءته الذاتية لما هو حاصل في روسيا. فهو يرى ان على الروس ان يتحولوا الى دولة قومية عادية بعدما عاشوا قرونا طويلة على وقع مشروع امبراطوري لم يتحروا بعد تماما من اوامير اعادة تأسيسه. وينصح بريجنسكي ل واشنطن والعواصم الغربية الاخرى بدفع موسكو للتحويل دولة كغيرها، تماما كما خلغ مصطفى كمال ثوب السلطنة عن تركيا فجعلها دولة قومية بين الدول. وهو يرى ان النخبة الروسية لم تتوصل بعد الى قناعة عميقة بضرورة هذا التحول، مما سيدخل روسيا خلال فترة طويلة من الزمن، مرحلة من اللقائل وعدم الاستقرار. ويبدو بريجنسكي حازما للغاية حين يؤكد "ان اي تقارب صيني - روسي لمواجهة القطب الاميركي المتفرد سيعني عمليا استتباعا صينيا لروسيا وتحول الاخيرة الى نوع من الملحق بالقطب الصيني الصاعد".

واذا كانت اميركا لم تعد تخاف منافسا لسطوتها، فبريجنسكي نفسه لا يريد ان ترتاح. فهو، وان لم يعترف بذلك، كي لا ترى اي ظلال على التفوق الاميركي، ما زال قلقا من روسيا، وكل نواحيه تذهب في اتجاه واحد هو تسريع عملية تفكيك القوة الروسية، كي يصبح ضعفها المالي نهائيا، دائما.

- فهو يريد توسعا منهجيا في حلف شمال الاطلسي (الناتو) كي يضم بولونيا والمجر وتشيكيا فوراً، ورومانيا وسلوفانيا ودول البلطيق بعدها، واوركانيا في مرحلة ثالثة، حتى يصبح الحلف في جوار روسيا المباشر بعد ان يكون قد "ابتلع" كل دول وسط وشرق اوروبا التي كانت سابقا داخل الاسرة السوفياتية.

- وهو يريد من اميركا ان تنشئ لذاتها موقع قدم دائما في جمهوريات آسيا الوسطى الاسلامية والقفقاس، فتضمن استقلالها في مواجهة موسكو، وتسهم في تنميتها الاقتصادية وفي شبكتها بالسوق العالمية.

- وهو يريد ايضا تخالفا عميقا مع الصين بغية منع بكين من التقارب مع موسكو، حتى لو اضطرت واشنطن لتهميش علاقتها الاستراتيجية باليابان او للقبول بقيام منطقة نفوذ اقليمية اسيوية لمصلحة بكين. فهو يرى طوكيو مقدمة على هبوط تدريجي في قوتها الاقتصادية والسياسية وبكين على نحو متزايد في وزنها الآسيوي.

- ويريد بريجنسكي من اوروبا ان تسهم بدورها في عملية تطوير روسيا من كل الجوانب، فيتوسع الاتحاد الاوروبي شرقا ليدخل في صلبه كل الدول التي كانت عضوا في منظومة حلف فرصوفيا، فيساعدتها على تبني نظام السوق، والمؤسسات الديموقراطية، ويبعد عنها عن اي تآثر لاحق بالتوجهات الروسية.

- ويذهب بريجنسكي خطوة ابعد واطر حين لا يتوانى عن الدعوة لتقسيم روسيا الحالية دولاً ثلاثاً مستقلة، قد تلتقي داخل كونفيدرالية مشة: دولة حول موسكو، واخرى في سيبيريا الوسطى وثالثة في الشرق الاقصى، وكان ما حل بالاتحاد السوفياتي من تفكك وتجزئة لا يكفي لراحة خاطره، اذ ما زالت روسيا اكبر من اللازم حتى في شكلها الحالي، وما زال من الضروري اعمال التفكيك والتقسيم في بنائها.

كان يمكن اعتبار هذا المشروع المناهض لروسيا مجرد هلوسات بولوني متأمر ما زال يحمل في قلبه روحا شوفينياً بولونياً يخاف موسكو ويمقتها ويحلم بزوالها، لو اننا لم نشهد نموا مفاجئاً في الروح العدائي لروسيا داخل اميركا خلال الاسابيع القليلة الماضية، يشير الى ان اصول بريجنسكي العرقية ليست السبب الوحيد في جنوحه هذا. بدأت الموجة بالذات خلال جولة بريماكوف على المنطقة (حين اثار زوبعة في حديثه عن جنوب لبنان) وتزايدت بعد تعيين بوسوفاليوك نائبه لمتابعة عملية التسوية باسم موسكو وانفجرت علنا مع نجاح الدبلوماسية الروسية بالتوصل الى حل وسط مع العراق نزع فتيل انفجار عسكري جديد في عنق الخليج. وثار زعماء الرأي في واشنطن ضد قبول بلادهم بالوساطة الروسية. فاختزلها وليام سافاير الى "عملية ادخال الجواسيس الروس الى صلب لجان التفيتش" ورأى فيها روزنتال "قبولا غير مبرر بعودة الروس الى الشرق الاوسط"، بينما اتهم ديفيد هوفمان روسيا بالاستمرار في تزويد الجيش العراقي قطع الفيار للصواريخ، واستنكر توماس فريدمان ايام الحرب الباردة وحروب الجواسيس بين موسكو و واشنطن، بينما أكد جيم هوغلاند، بأسلوبه القاسي المعمود، أن اميركا رضخت لمشينة موسكو وانهارت امام مناورات بريماكوف.

أميركا لا تخاف إلا نفسها؟

بقلم غسان سلامة

اذا افترضت ان زبغنيو بريجنسكي على حق، فاننا قد ولجنا عصرا لم تعد اميركا تخاف فيه شيئا الا نفسها. فلا البناء الاوروبي المتنامي يضيرها في شيء، ولا الصين على عتبة التحول الى قوة دولية مقابلة، ولا اليابان تمثل خطرا يذكر، ولم تعد روسيا تشغل البال. يرى بريجنسكي اننا دخلنا بثبات مرحلة جديدة من النظام الدولي فيه قطب حقيقي واحد، هو الولايات المتحدة الاميركية، ذاك البلد المكتمل القدرة عسكريا واقتصاديا وماليا وتكنولوجيا، الذي اجأت اليه عائلة الفتى بريجنسكي لعقود عديدة خلت، ونشأ فيه زبغنيو ليصبح استاذنا معروفا في العلاقات الدولية (تتلمذ عليه كثيرون ابرزهم اليوم مادلين اولبرايت) فمستشارا للأمن القومي في عهد الرئيس جيمي كارتر، فحكيمنا يفتي في الشؤون الدولية، على شاكلة منافسه الاقرب هنري كيسينجر.

- تمة المنشور في الصفحة ١٨ -